دراسة سورة

يس

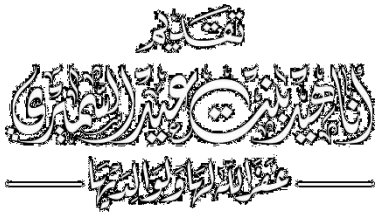

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء السادس: الثلاثاء 7 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. الشوق يحملنا لهذا الاجتماع لمزيد من العلم والفهم عن كتاب الله، ومثل هذه العطايا من رب العالمين تستلزم منا دائما الشكر، نسأل الله أن يعيننا على شمر نعمائه، الحمد لله كثيرا.

نبدأ، متوكلين على الله، كنا بفضل الله قد وصلنا لوصف وصفه الله عز وجل لهؤلاء المعرضين، وكأن هذه فيها صورة تمثيلية، كأنها تمثيل لحالهم. وعادة لما نقرأ المثل نتصور أننا سنجد كلمة مثل كما في سورة البقرة {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} وهذا صحيح، وقد لا نجد كلمة مثل، لكنها استعارة تمثيلية، نفهم هذا الأمر في موطن آخر، لكن سنركز على {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ} نركز ما هو القول وكيف حق عليهم بسببهم، وكل مرة نراجع التفسير لنتأكد أننا مستوعبين هذا الأمر.

هم استحقوا القول وهو أن يكونوا من أهل جهنم، والعياذ بالله، وهذا على أكثرهم، والنتيجة من ذلك {فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}، كأنه يقال مهما أتيناهم بآية لا يؤمنون. صورتهم التي تستطيع أن

تتصورهم بها صورها الله لنا. أمس أخذنا وقتنا في فهم هذه الصورة، إلا أن هناك بعض النقاط التي نود أن نضيفها على نقاش.

تصورنا الصورة العامة، كأننا نستطيع أن نقول أن صورتهم مثل صورة شخص مقيد بالسلاسل ويده مربوطة إلى عنقه، وهذه الأغلال مربوطة إلى الأذقان، وهذه الكلمة هي التي تأتي لك بشعور ارتفاع الرأس، {فَهُم مُّقْمَحُونَ}، هذه الكلمة أضافت لنا إضافة؛ فيها تشبيه بحالة معروفة عند العرب؛ حال الإبل لما يعرض عليها الماء سواء في الشتاء أو كانت مريضة، ترفع رأسها امتناعا. هؤلاء يشبهون المقيد المسجون بهذه الأغلال، وفي هذا التقييد {فَهُم مُّقْمَحُونَ} ترى فيهم هذه الصورة.

نذكر إضافة: نلاحظ كلمة مقمحون في الصيغ تسمى اسم مفعول، وليس اسم الفاعل، لأن اسم الفاعل هو الذي يقوم بالفعل، واسم المفعول يُفعل عليه أو له الفعل. هؤلاء فعل فيهم فعل الإقماح، نتوجه إلى التفسير ونقرأ عند البقاعي، ونصل مباشرة للجملة المقصودة، وبعد ذلك نعود من أول الكلام لأنه سيفيدنا فوائد أخرى.

(فَهُمْ)؛ أيْ: بِسَبَبِ هَذا الوُصُولِ؛ (مُقْمَحُونَ)؛ مِن "أُقْمِحَ الرَّجُلُ"؛ إذا أقْمَحَهُ غَيْرُهُ؛ أيْ جَعَلَهُ قامِحًا؛ أيْ: رافِعًا رَأْسَهُ؛ غاضًّا بَصَرَهُ؛ لا يَنْظُرُ إلّا بِبَعْضِ بَصَرِهِ؛ هَيْئَةَ المُتَكَبِّرِ؛ وأصْلُهُ مِن قَوْلِهِمْ: "قَمَحَ البَعِيرُ"؛ إذا رَفَعَ رَأْسَهُ عِنْدَ الشُّرْبِ؛ ولَمْ يَشْرَبِ الماءَ؛ ..

قالَ الرّازِيُّ؛ في اللَّوامِعِ: و"المُقْمَحُ": الَّذِي يُضْرَبُ رَأْسُهُ إلى ظَهْرِهِ؛ هَيْئَةَ البَعِيرِ؛ وقالَ القَزّازُ: و"المُقْمَحُ": الشّاخِصُ بِعَيْنَيْهِ؛ الرّافِعُ رَأْسَهُ؛ أبُو عَمْرٍو: و"القامِحُ"؛ مِنَ الإبِلِ؛ هو الَّذِي لا يَشْرَبُ وهو عَطْشانُ عَطَشًا شَدِيدًا؛ ولا تَقْبَلُ نَفْسُهُ الماءَ؛ والقَمْحُ مَصْدَرُ "قَمَحْتُ الشَّيْءَ"؛ و"الِاقْتِماحُ": أخْذُكَ الشَّيْءَ في راحَتِكَ؛ ثُمَّ تَقْمَحُهُ في فِيكَ؛ أيْ تَبْتَلِعُهُ؛ والِاسْمُ "القُمْحَةُ"؛ كَـ "اللُّقْمَةُ"؛ و"الأكْلَةُ"؛ انْتَهى؛ وكَأنَّ المُقْمَحَ مِن هَذا؛ لِأنَّ هَيْئَتَهُ عِنْدَ هَذا الِابْتِلاعِ رَفْعُ الرَّأْسِ؛ وغَضُّ الطَّرْفِ؛ أوْ شُخُوصُهُ إذا عَسُرَ عَلَيْهِ الِابْتِلاعُ؛ واللَّهُ أعْلَمُ؛

هذا الكلام يحتاج إلى كثير من التأمل، نتصور أنه يمكن أن يكون مقمح له معنيين، الأول المعنى الذي ذكرناه أنه يشبه الإبل، لكن لماذا اسم مفعول، وأشار لهذا في آخر الكلام:

فَهَذا تَمْثِيلٌ لِرَفْعِهِمْ رُؤُوسَهم عَنِ النَّظَرِ إلى الدّاعِي؛ تَكَبُّرًا؛ وشَماخَةً؛ بِحَيْثُ لَوْ أمْكَنَهم أنْ يَسْكُنُوا الجَوَّ لَمْ يَتَأخَّرُوا؛ يريدون الطيران إلى الأعلى صَلافَةً وتِيهًا؛ أوْ لِأنَّهم يَتْرُكُونَ هَذا الأمْرَ العَظِيمَ؛ الحَسَنَ؛ الجَدِيرَ بِأنْ يُقْبَلَ عَلَيْهِ؛ ويُتَرَوّى مِنهُ؛ وهم في غايَةِ الحاجَةِ إلَيْهِ؛ فَهم في ذَلِكَ كالبَعِيرِ القامِحِ؛ إنَّما مَنَعَهُ مِنَ الماءِ؛ مَعَ شِدَّةِ عَطَشِهِ؛ مانِعٌ عَظِيمٌ أقْمَحَهُ؛ ولَكِنَّهُ خَفِيَ أمْرُهُ؛ فَلَمْ يَعْلَمْ ما هُوَ؛ ولِذَلِكَ بَنى الِاسْمَ لِلْمَفْعُولِ؛ إشارَةً إلى أنَّهم مَقْهُورُونَ عَلى تَفْوِيتِ حَظِّهِمْ مِن هَذا الأمْرِ الجَلِيلِ.

هم عطشانين للوحي، وحق هذا الأمر وهم عطشانين أن يتروا منه، لكنهم رافعين راسهم عنه، كالبعير القامح منع من الماء مع شدة العطش لكن البعير ليس مدرك ما الذي يمنعه من شرب الماء.

في السورة السابقة أقسموا أنهم لو جاءهم نذير سيكونون أهدى من إحدى الأمم، جاءهم النذير فما الذي يمنعهم؟ يمنعهم مانع داخل نفوسهم حتى أنهم ليسوا مدركين السبب. لذلك ترى في الواقع أناس يمكن أن يهاجموا الحق وهم في غاية العطش له لعلة لا يفهمونا، لا يعرفون السبب في ذلك.

قرأنا تفسير الآية الثامنة من البقاعي، وأفادنا فائدتين:

الأولى أن مقمحون اسم مفعول، كأنه مفعول فيه وليس هو الفاعل، وهذا كان سؤالنا. إذا كان الإقماح مفعول فيه، فما الذي فعله فيه؟

أجاب أن هذه الإبل رغم أنها عطشانة لكنها ممتنعة كأنه يوجد من يمنعها، وهي لا تدرك ما الذي يمنعها، قد يسأل أحد ما الذي منعك من الهداية؟! {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ}، هو بنفسه لا يدري لماذا هو ممتنع، من كثرة اختلاط القلب بالتكبر، لا يستطيع حتى أن يتصور أن هذا هو الذي منعه. هو يظن أنه عزيز وصاحب رأي وأنه لا يسير على رأي الناس، ولا أحد يستطيع أخذي يمينا وشمالا، وهو لا يدري أن هذا تمثيل للعناد وللكبر! لذلك في أحيان كثيرة يأتي سؤال هل المنافق يعرف أنه منافق؟ وهذه معضلة، استفدنا من هذا التفسير أن الإنسان يمكن أمراضه تؤدي إلى انفعالات معينة لا يدرك سببها، اللهم طهر قلوبنا، وذلك لكثرة ما المرض موجود في داخله.

وهذا نتصوره لما الإنسان بنفسه يرفض شيء معين من الطعام، وهذا من أسرار خلقة الله، ويكون السبب لعلة في بدنه، فيرفض بدنه الطعام.

ذكرت طبيبة أن الجسم الصحيح لما يحتاج شيء تشتهيه، وهذا مثبت طبيا، والله أعلم، فالجسم الصحيح يحتاج الشيء الذي يناسبه، والجسم المريض قد يمتنع عن شيء ولا يدري ما علته.

مداخلة: هل نقول أنه اسم مفعول به وهو برغبته يرفض الهداية؟

اسم مفعول يعني يوجد شيء يضغط عليه يجعله يفعل هذا الفعل. يوجد ما يدفعه للامتناع عن الهداية وهو لا يفهم لماذا هو ممتنع عن الحق. سنفهم ما الذي يمنعه من خلال كلام المفسرين، ما يمنعه هو كبر في داخله، شيء في داخل نفسه يمنعه من أن يفعل هذا الفعل، فكأن الكبر هو المتحكم فيه، كأنه سلّم نفسه لأمراضه، سلم نفسه للكذب.

مداخلة: يظن أنه حر وهو مستعبد بكبره.

نعم، لما ابنتك تمتنع عن السلام على الجارة أو بنت الجارة، تسألها لماذا لا تسلمين عليها؟ عندها أشياء متراكمة في داخل نفسها لكنها لا تفهمها فتقول هكذا، لا أحبها، دمها ثقيل، قد تكون أفضل منها في المدرسة، أو أشير إلى أنها أجمل منها..، يوجد شيء مخزون في الداخل هي لا تعترف به. ما في داخلها غير مُدرَك لكنه يتحكم فيها، فالإنسان يكون في قلبه كثير من

الأمراض تسبب له أغلال، غل يربطه عن القرآن وفهمه، وهذا ما نسميه دسيسة داخل القلب، اندست في داخل القلب حتى أنها تتحكم في تصرف الإنسان وهو لا يدري عن نفسه. {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} يكنس بيته، {وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} يدخل الأوساخ تحت الكنب، ويدسه، توجد رائحة عفنة، أين مكانها؟ أنت دسست هنا وهنا، أكيد أنه توجد رائحة عفنة!

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يطهر قلوبنا وقلوب ذرياتنا، ولا قضية أهم من هذه، وقد ذكر أن الشيخ بن باز، رحمه الله، أنه كان في كل طوافه يدعو اللهم طهر قلبي.

مداخلة: مكاشفة هذه الأمراض مؤلم ويحتاج مجاهدة، وقد تكون الغفلة طريق هروب فتتمكن الأمراض.

بالضبط، هذا هو المعنى {فَهُمْ غَافِلُونَ}.

فائدة أخرى ذكرها أن مقمحون أيضا يمكن أن تكون صورة أخرى، نقرأ هذه الجملة مرة أخرى: آية 8 عند البقاعي:

والقَمْحُ مَصْدَرُ "قَمَحْتُ الشَّيْءَ"؛ و"الِاقْتِماحُ": أَخْذُكَ الشَّيْءَ في راحَتِكَ؛ ثُمَّ تَقْمَحُهُ في فِيكَ؛ تحشره في فيك، أيْ تَبْتَلِعُهُ؛ والِاسْمُ "القُمْحَةُ"؛ كَـ "اللُّقْمَةُ"؛ و"الأكْلَةُ"؛ انْتَهى؛ وكَأنَّ المُقْمَحَ مِن هَذا؛ كأنها لقمة كبيرة يريد أن يبتلعها، فسيغص بها، لِأنَّ هَيْئَتَهُ عِنْدَ

هَذا الِابْتِلاعِ رَفْعُ الرَّأْسِ؛ وغَضُّ الطَّرْفِ؛ أوْ شُخُوصُهُ إذا عَسُرَ عَلَيْهِ الِابْتِلاعُ؛ واللَّهُ أعْلَمُ؛ لقمة كبيرة أراد أن يبتلعها، لذا يجب أن يرفع رأسه، يمكن أن يكون هذا المعنى، كأن صورتهم وهم ينظرون للنبي ﷺ بهذه الصورة، وغالب المفسرين اختاروا صورة الإبل:

قال البقاعي: (مُقْمَحُونَ)؛ مِن "أُقْمِحَ الرَّجُلُ"؛ إذا أقْمَحَهُ غَيْرُهُ؛ أيْ جَعَلَهُ قامِحًا؛ أيْ: رافِعًا رَأْسَهُ؛ غاضًّا بَصَرَهُ؛ لا يَنْظُرُ إلّا بِبَعْضِ بَصَرِهِ؛ هَيْئَةَ المُتَكَبِّرِ؛ وأصْلُهُ مِن قَوْلِهِمْ: "قَمَحَ البَعِيرُ"؛ إذا رَفَعَ رَأْسَهُ عِنْدَ الشُّرْبِ؛ ولَمْ يَشْرَبِ الماءَ.

إن شاء الله نكون تفهمنا المعنى، والمعنى الثاني كأنهم غصّوا بالوحي.

ويوجد معنى يضيفه البقاعي على الآية العاشرة. كأنه يرى أن {مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا} وعلى أعينهم غشاوة فمن المؤكد أنهم لا يبصرون، انتهينا من حاسة البصر، ماذا عن حاسة السمع؟

ولَمّا مُنِعُوا بِذَلِكَ حِسَّ البَصَرِ؛ في السابق، {مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا}، أخْبَرَ عَنْ حِسِّ السَّمْعِ؛ {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} كأنهم لا يسمعوك، فهم لا يروا الأدلة ولا يسمعوا الداعي,

فَقالَ: (وسَواءٌ)؛ أيْ: مُسْتَوٍ؛ ومُعْتَدِلٌ غايَةَ الِاعْتِدالِ؛ مِن غَيْرِ نَوْعِ فَرْقٍ؛ وزادَ في الدَّلالَةِ عَلى عَدَمِ عُقُولِهِمْ؛ بِالتَّعْبِيرِ بِأداةِ الِاسْتِعْلاءِ؛ إيذانًا بِأنَّهم إذا امْتَنَعُوا مَعَ المُسْتَعْلِي؛ كانُوا مَعَ غَيْرِهِ أشَدَّ امْتِناعًا؛ فَقالَ: (عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ)؛ أيْ: ما أخْبَرْناكَ بِهِ؛ مِنَ الزَّواجِرِ المانِعَةِ مِنَ الكُفْرِ؛ (أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ)؛ ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ الَّذِي اسْتَوى حالُهم فِيهِ بِما سَبَّبَهُ الإغْشاءُ عَدَمُ الإيمانِ؛ فَقالَ -مُسْتَأْنِفًا- (لا يُؤْمِنُونَ). بهذا نعرف أن كل الأدوات التي بها يتعلم الإنسان فقدوها، وأيضا أضاف كلمة {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} بالتعبير بأداة الاستعلاء، من ينذرهم من فوقهم، ومع أنه من فوقهم ومع أنه كلام لا يمكن أن يدركوه أو يأتوا بمثله، وكلام هم بأنفسهم اعترفوا بعظمته، ومع ذلك يتظاهرون أنهم لا يسمعون. فما بالك بكلام آخر غير كلام رب العالمين، فلا مثل كلام رب العالمين، ربنا جعل هذا القرآن له سطوة على النفوس، فهم لا يستجيبون، معناها أقفلوا على أنفسهم كل أبواب العلم.

كأن الكلام عن حواس هذا الإنسان، البصر مغلق تماما، مرتفع رأسه وينظر للأعلى أو مغمض عينه فكأنه غير متمكن أن ينظر

في نفسه، سيأتينا لماذا وصفت يده أنها مرتفعة، بصره للأعلى، فهو لا يستطيع أن ينظر في نفسه، مع أن في نفسه آيات، ولا يستطيع أن ينظر حوله، {مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا} لو أرادوا أن يتفكروا في الدنيا وفي الآيات {وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا} وأيضا على أعينهم غشاوة {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، الله يعيذنا كل الأدوات مغلقة، وهو يعيش حياته مرتاح، متصور أنه ناجح في حياته، يأكل ويشرب وينام، ولو تكلمنا عمن كانوا مع النبي ﷺ مثل لو تكلمنا عمن نعاصرهم الآن، الله يعيذنا أن نكون منهم، تجد له وجاهة ومكانة، الإشكال في أنه لا يقدر أن يصل للحق ولا للوظيفة التي يعيش من أجلها.

في لقاء الأمس كانت آية سورة النساء استفدنا في بيانها هذا الوصف الذي وصفه الله للمعرض، في آية سورة النساء يمتن رب العالمين علينا أنه أرسل مع رسوله الكريم وأنزل للخلق الصادقين برهان ونور مبين، والناس بعد ذلك ينقسمون إلى قسمين. بمعنى أن الله لما يدعوهم إلى الحق ما دعاهم دعوة هم ينكرونها أو ما عليها دليل، بل هم في داخلهم متعطشين، في داخلهم الفطرة السوية، لو نظروا للآيات الكونية التي حولهم وفكروا فيها وأعطوا نفسهم فرصة للتفكير بهذا القلب الذي خلق للتفكير، لو صدقوا لاستسلموا لنور القرآن، لكنهم ما نظروا

للبرهان، ما فكروا فيه، ما سمعوه ومن ثم لن يستفيدوا من نور القرآن.

نبدأ بقوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ} هذا بعد ما أنذرته واستقام {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}، نريد أن نعرف هذه الصفات التي بها تحصل الاستجابة. أكيد أنه يوجد فرق بين الممتنع وبين المقبل، ما الفرق؟

صفات نفسية. حتى نكون مطمئنين {إِنَّمَا تُنذِرُ} فيستجيب لهذه النذارة من؟ إنما يؤمن بإنذارك الذي فيه صفتين: الأولى اتبع الذكر، والصفة الثانية أن عنده خشية. نفكر في خشية وفي اسم الرحمن العظيم وبالغيب. نفكر في اتبع، هل اتبع مثل تبع؟ لا، ما الفرق؟

نقرأ البقاعي ونجيب عن معنى اتبع من خلال كلامه:

(مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ)؛ أيْ: أجْهَدَ نَفْسَهُ في اتِّباعِ كُلِّ ما يُذَكِّرُ بِاللَّهِ مِنَ القُرْآنِ؛ وغَيْرِهِ؛ ويُذْكَرُ بِهِ صاحِبُهُ؛ ويُشَرَّفُ؛

ما هي كلمة السر في هذا المعنى؟ أمس أشرنا إلى "سَلْمانُ مِنَّا آل البَيْت" كيف وصل إلى هذه المنزلة العظيمة؟ قصة تحكى وتروى ويبقى الإنسان يتأمل فيها عاجزا عن وصفها، رضي الله عنه. بهذا نفهم أن المسألة فيها إجهاد.

د. نجاة: اتبع على وزن افتعل، وهذه الصيغة من معانيها المبالغة في معنى الفعل، مثل اقتلع واكتسب واجتهد، إذن هو بالغ في هذا الفعل فهو اجتهد في متابعة الذكر وفهمه وتعلمه.

في كلام البقاعي جملة أخرى مهمة أيضا، وهي كل ما يذكر بالله، آيات في القرآن آيات في الكون القرآن أشار إلى النظر فيها، آيات في حياته هو، أجهد نفسه في اتباع كل ما يذكر بالله من القرآن ومن غيره، فهو عرف الله معرفة لا يستطيع أحد أن يزحزحها، وهذا هو البرهان، أجهد نفسه في اتباع ما يذكر به صاحبه ويشرف؛ معالي الأمور. لأن الذي بين يده سدّ ومن خلفه سدّ لا يرى إلا ما يراه قومه المحبوسين مثله، فهو محصور ومحجوب، وكل تفكيره أنه لا ينتقدني الجماعة، وذكرنا مثال عم النبي ﷺ فلا أخرج لانتقادهم وهذه مشكلة كبيرة عندنا. نحن لا نقول هاجم مجتمعك وضاربه لكن المقصود ألا تفكر بعقله، ستدخل قبرك لوحدك. هذا الإنسان سيجتهد ويتعب، الأمر ليس باليسر، لذلك بها، ونورا مبينا، يجب أن يكون عندك على ما تعتقده برهان.

ما المقصود بالذكر؟ في أحسن الأقوال القرآن، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} اجتهد في فهمه وتصور معانيه ودلالاته، هذا الذي لما تنذره تنفع فيه النذارة.

ما المقصود بـ{خَشِيَ الرَّحْمَنَ}؟ لو تذكرت الوليد بن المغيرة كيف مدح القرآن؟ قال كلام يسطر في مدح القرآن، واللَّهِ إنَّ لهُ لحلاوةً وإنَّ عليهِ لطلاوةً وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ وإنَّ أسفلَهُ لمغدقٌ وما يقولُ هذا بشرٌ، مدح الذكر، لكن هل دخل قلبه؟ ما دخل قلبه، لم يستطع أن يبتلعه، ما دلالة {وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} أتينا بالوليد لنتصور أكثر معنى أنه يجب أن يخاف الله، وستأتينا دلالة اسم الرحمن إن شاء الله. الوليد فقد شرط أن يخشى الرحمن. في سورة الحجرات {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا} الله أمر رسوله أن يقولوا أسلمنا {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} لما تعني أنه قريبا سيدخل، لكنه الآن ما دخل. الشيخ السعدي يقول:

(وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية اللّه تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) لذنوبه، (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة.

الأعراب في الظاهر مستسلمين لكن في دواخلهم معترضين على الزكاة، وعلى القصاص، وغيرها، {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}، ما الذي يدخل الإيمان في القلب؟ مثل الوليد بن المغيرة وكثير من المستشرقين، في كتاب لشاب مصري اسم الكتاب (جسور) جمع فيه أكثر من مئة شهادة لمستشرقين وفلاسفة يمدحون القرآن، وميزة كتابه أنه نقل هذا المدح موثقا من كتبهم، لكنهم ما أسلموا، كأنك ترى الوليد بن المغيرة يتكرر. ماذا فقد؟

خشية الله هي التي تدخل الإيمان في القلب.

بالضبط، في القلب خشية لما يرى من آثار رحماته، أطعمني وسقاني وحفظني وأعطاني أولاد ولي اليد العليا، هل من المعقول أن يكون له كلام ولا أسمعه؟ له أوامر لا أفعلها؟ مفتاح القلب هو خشية الرحمن، ليس مجرد كون أنه تتبع. لما تقرأ الكتاب يصيبك الذهول أن أسماء معروفة في نشرها للباطل أو انتقادها للإسلام تأتيه تلك اللحظة التي يعترف فيها بالحق رغما عنه، فهو قد اجتهد في التعلم، غالب من في الكتاب لهم دراسات شرقية، كما يعبرون، يكونون اجتهدوا جدا في التعلم، لكن تنقصهم هذه الصفة؛ الخشية التي تكون في القلب. {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}، قد يكون هذا المستشرق متقن القرآن إتقانا تاما، يعرفه،

وتأتي لحظة يمدح القرآن مدحًا قد لا تسمعه من أهل الإسلام! لحظة يعترف فيها بكلام يمجد القرآن، لكن عدم وجود الخشية يسبب عدم الانتفاع من الجهد، وهذا شيء مخيف لنا! (ولما يدخل الإيمان) نحن نريد الإيمان يدخل، نريد أن تخترق البراهين القلب فيحصل الإيمان الثابت تكلم من تكلم واعترض من اعترض، يستهزئ من يستهزئ، ولو كفر من في الأرض جميعا، أنا متيقن بحقية هذا الكتاب. عدم وجود الخشية يسبب عدم الانتفاع من الجهد، وهذا حتى لو ابتدأته من عند سيرة النبي ﷺ إلى اليوم ستجد شواهد كثيرة فيها اجتهاد لكن ما فيها خشية. الخشية شيء موجود في القلب، يعظم الله، إنسان صادق مع نفسه يعرف أن الصحة ليست ملكه والمرض ليس بإذنه، يعرف أن المال ما جاء بتعبه وأن الله سبب له أسباب، يعرف في الأرزاق أنه مثل الماد يده أو وعاءه، الوعاء جاء من عند المعطي والعطاء في الوعاء جاء من عند المعطي، صادق مع نفسه، ليس قارونيا.

بعض الصادقين الذين يتعجب من صدقهم في وصف أحوالهم، طبيبة متخصصو بتخصص دقيق، في حكم الناس عندهم نجاحات، تذكر بأنها تستقبل عطايا الله، فإذا كشفت على مريض أو كتبت دواء تشعر شعورا تاما بفقرها للاستهداء ومباشرة ترى

أثر الاستهداء، وتعترف أن ليس لهت يد إلا أنهت تستقبل عطاء الله.

النفس لما تكون صادقة، وهذه هي القضية المهمة، تعترف، كل مرة تقول لنفسها من أين لك هذا؟ وتتبع من أين لي هذا الفهم، من أين لي هذا الإقبال، سواء كان في شأن الدنيا أو الآخرة، الإنسان الصادق يفتح الله له الأبواب. الصدق هو الذي يأتي بالخشية لأن الصادق يقول أنا لا أملك من أمر نفسي شيء، لما أقوم من النوم وترتد لي روحي لا أعلم إن كنت أملك أن أكمل يومي أو لا.

لما تفاجأ بموت أحد ونهاية قصته، دائما تأتي في العقل فكرة هل كان يدرك أن هذه آخر لحظاته؟ هذه آخر لقمة وهذا آخر مجلس له؟ غالبا لا يدرك، علامة هذا أنك عبد هنا. لما يصدق الإنسان ويعرف أن شأنه بيد الله تحصل له الخشية في الغيب.

معنى وإن كان غاية في الوضوح لكنه غاية في الصعوبة، لأنه يحتاج لاستحضار دائم للصدق؛ طول الوقت هو صادق مع نفسه، أنا عبد لله ملك له يتصرف بي كيف شاء، لا أعرف غدي ماذا أتصرف فيه، ما لي إلا الأماني، فلما يحصل الفقر تحصل الخشية، لما تحصل الخشية يقول كيف أكون عبد لله وما أفعل ما

أمرني الله، كيف أكون عبد لله وأعرف أن لله كلام ولا أقرأه وأحاول أن أفهم ما يريد الله مني. الله يرزقنا وذرياتنا الصدق، لحظة الصدق ثمينة، لأنها تفتح أبواب للإنسان ودائما يراجع تلك اللحظة التي فيها صدق شعوره بالعجز التام.

كثيرا ما نبتلى بأحبتنا وفي أبنائنا سواء في صحتهم النفسية أو البدنية، في دينهم أو دنياهم، في إقبالهم على الدين أو عدم إقبالهم، ابتلاء يجعلنا نشعر بفقرنا التام إلى الله، ونعرف أنه ليس بيدنا، وأننا في غاية العجز، فنخشى الله بالغيب. الله يردهم جميعا إلى الطريق المستقيم ويشرح صدورهم ويرزقهم الصدق، ويرزقنا نحن وهم الهداية التامة.

الصدق يأتي بالشعور الحقيقي بفقرك، أنك عبد، أن الله يتصرف بك، أن الله قائم عليك، وهذا يأتي منه تعظيم الله وخشيته بالغيب، وهنا ينفتح القلب للانتفاع من العلم، الله يردنا وإياهم ردا جميلا.

لا زال الأمر يحتاج إلى بيان، لكن تصورنا الطريقة، أننا نعطي شيء من الإجمال وفي اللقاء الذي يليه نزيد التفصيل، وهكذا نبقى متصلين بالسورة.

هذا النقاش يبين لماذا {وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ}؛ لأنه في لحظات الصدق فكر في عطائه ورحماته، فكر في كمال الله وعجزه، فكر في إعراضه عن الله، وإقبال الله عليه. هذا من المؤكد أنه يجعل الإنسان في حال انكسار فمن ثم يقبل الذكر، يفتح قلبه. الشرطين يجب أن تكونا معا {اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}.

الله يعيذنا ويعيذ ذرياتنا وأحفادنا، نجد نصراني معاصر أعرب القرآن كاملا إعرابا مميزا وسهل على طلبة العلم الانتفاع بطريقة تحليل اللفاظ وهي طريقة حديثة في إعراب القرآن، هذا عربي وأقبل على القرآن واجتهد فيه، لكنه لا زال على نصرانيته!

هذا تناوله من جهة كونه نصا عربيا وليس من جهة كونه كلام رب العالمين.

هذا الذي أعرب القرآن {اتَّبَعَ الذِّكْرَ}، اجتهد، لكنه ليس في قلبه تعظيم للقرآن فتناوله تناول نص عربي، وليس كلام رب العالمين، مثله مثل المستشرقين، كما ذكر في كتاب الجسور. فأنت تفهم أن الاجتهاد وحده ليس هو القضية، فربما وجدنا اليوم أناس حافظين لكتاب الله ومتكلمين به لكنهم أئمة في الضلال، بمعنى أنهم يقرؤون آيات القرآن ويستعملونها لإضلال الناس.

أتاه العلم كلمة غير يدخل الإيمان في قلبه، غير خشي الرحمن بالغيب.

لا تجتمع خشية الله في القلب مع رفض اتباع أوامر الله وفروضه.

صحيح

أعرف أحد التنويريين لما مر بابتلاء شديد يقول ما ثبته إلا لما دخل المكتبة وقرأ القرآن، ثم هو كما هو.

هؤلاء الذين يرون أن النور بعيد عن القرآن، وهم كثر في العالم الإسلامي، هو كما هو لأن كثيرين يعتبرون أن القرآن فيه بركة، فيتبرك به لكن لم يخش الرحمن بالغيب، مثل الطقوس.

{اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ} ليست للترتيب، بل هي واو الحال، {اتَّبَعَ الذِّكْرِ} وهو خاشيا للرحمن.

{فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} أمس أشرنا أنه يجد مغفرة للذنوب وأجر كريم لهذا الإقبال وهذا الاتباع، فسيكرمه الله. ونلاحظ أنه اجتهد وأدب نفسه ومنعها من أن تتكبر وأن ترتفع، فكان الجزاء أن يكرمه الله.

ننتقل إلى:

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (12)}

أول أمر نقسم الآية إلى مجموعة جُمل:

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ} هذه الجملة الأولى

{وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} هذه هي الجملة الثانية

{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ}، هذه هي الجملة الثالثة.

نرى انتقالة السياق إلى هذا الأمر {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ}، الآيات من بدايتها متتابعة واضحة لنا: بعدما أقسم الله بالقرآن على رسالة الرسول ﷺ ووصفت هذه الرسالة أن هذا القرآن منزل من العزيز الرحيم، والغاية {لِتُنْذِرَ} ومن المنذرين ومن ينتفع بالنذارة، إلى هنا، هذا واضح.

هنا انتقلنا {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ}، فيمكن أن يكون للانتقالة عدة أسباب: بسبب البشرة {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} متى ستكون هذه؟ ستكون لما الله يحيي الموتى ويعودوا إلى رب العالمين وهذا واضح جدا. لما ذكر النذارة والبشارة، أين سيظهر هذا؟ كأنه يقال ما رأينا أجر كريم، وأين سنرى المغفرة، فيقال ليس هنا، هنا في الدنيا لا ترى هذه المنزلة، في الحقيقة إن لم ير في الدنيا، فالله يحيي الموتى ويجزي المنذَرين ويجزي المبَشَرين؛ من أنذر وما انتفع ومن بُشِّر. ويمكن أيضا أن ننتفع

{وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ}، وأن من هذا الغيب العظيم هو قدرة الله على أن يحيي الموتى.

غدا سنناقش هذه الجمل في الآية، أنه يحيي الموتى، ويكتب ما قدموا في الدار الدنيا، أنه يحصي آثارهم، وأنه يكتب كل ما قدموا في إمام مبين.

مطلوب منكم كتابة معنى ما قدموا وآثارهم وإحصاء كل شيء في إمام مبين.